

عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « مامن نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطيها عليه السلام وهو القرآن وإلا فله من المعجزات ما لا يحصر كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه ثم قال تعالى ( ولو أنا أهلكنهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ) أي لو أننا أهلكننا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم ونزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا ( ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به وتنبه كما قال ( فتنبح آياتك من قبل أن نذل ونخزى ) يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعتون معاندون لا يؤمنون ( ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) كما قال تعالى ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون - إلى قوله - بما كانوا يصدفون ) وقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ) الآية وقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ) الآيتين ، ثم قال تعالى ( قل ) أي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده ( كل متربص ) أي مناومكم ( فربصوا ) أي فاتظروا ( فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ) أي الطريق المستقيم ( ومن اهتدى ) إلى الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالى ( وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ) وقال ( سيعلمون غذا من الكذاب الأثر ) . آخر تفسير سورة طه والله الحمد والمنة ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة الأنبياء والله الحمد

### ( تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام وهي مكية )

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال ، بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، هن من العتاق الأول وهن من تلادى

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا أُسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ \* قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* بَلْ قَالُوا أَضْفَتْ أَحْلامُ بِلْ أَقْتَرَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ \* مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ )

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ( في غفلة معرضون ) قال « في الدنيا » وقال تعالى ( آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَقَالَ ( اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ) الآية ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هاني أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

الناس في غفلاتهم \* ورحا المنية تطحن

فقليله من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى ( اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) وروى (١) في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الأمدى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال إنى استقطعت

(١) هذا الخبر غير موجود في النسخة المكية .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ( اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال ( ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث ) أي جديد إنزاله ( إلا استمعوه وهم يلعبون ) كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه وتقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضا لم يشب رواه البخارى بنحوه ، وقوله ( وأسروا النجوى الذين ظلموا ) أي قائلين فيما بينهم خفية ( هل هذا إلا بشر مثلكم ) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال ( أفأتأتون السحر وأتم تبصرون ) أي أفقتبعونه فتكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى محيا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب ( قال ربى يعلم القول في السماء والأرض ) أي الذى يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذى أنزل هذا القرآن الشتمل على خبر الأولين والآخريين الذى لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذى يعلم السبر في السموات والأرض وقوله ( وهو السميع العليم ) أي السميع لأقوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعد وقوله ( بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء ) هذا إخبار عن نعت الكفار والحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سجرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) وقوله ( فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ) يعنون كناية صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله ( وما منعا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) الآية ، ولهذا قال تعالى : ( ما آمنت قلوبهم من قرية أهلكتناهم فهم يؤمنون ) أي ما آتينا قرية من القرى الذى بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيا فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا ، بل ( إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدى رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الجباب حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن زيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقرأ بعض القرآن فجاء عبد الله بن أبي ابن سلول ومعه عمرة وزرية فوضع واتكأ وكان صبيحا فصيحاً جدلاً فقال يا أبا بكر قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الأولون ؟ جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة . فبكى أبو بكر رضى الله عنه فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر قوموا بنا إلى رسول الله ﷺ نستغيث به من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ : « إنه لا يقيم لى إنما يقيم لله عز وجل » فقلنا يا رسول الله إنا لقينا من هذا المنافق ، فقال : « إن جبريل قال لى اخرج فأخبر بنعم الله التى أنعم بها عليك وفضلته التى فضلت بها فبشرنى أتى بعثت إلى الأحمر والأسود وأمرنى أن أندر الجن وآتاني كتابه وأنا أمى وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر وذكر اسمى فى الأذان وأمدنى بالملائكة وآتاني النصر وجعل الرعب أمامى وآتاني الكوثر وجعل حوضى من أعظم الحياض يوم القيامة ووعدنى المقام المحمود والناس مهطعون مقنعون رءوسهم وجعلنى فى أول زمرة تخرج من الناس وأدخل فى شفاعتى سبعين ألفاً من أمتى الجنة بغير حساب وآتاني السلطان والملك وجعلنى فى أعلى غرفة فى الجنة فى جنات النعيم فليس فوقى أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لى ولأمتى الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلى » وهذا الحديث غريب جدا

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا آلَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ \* ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا السَّرِيفِينَ ﴾

يقول تعالى راداً على من أنكر بعثة الرسل من البشر ( وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ) أى جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال فى الآية الأخرى ( وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى ) وقال تعالى ( قل ما كنت بدءاً من الرسل ) وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم لأهم أنكروا ذلك فقالوا ( أبشر يهودنا ) ولهذا قال تعالى ( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) أى اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم ، وقوله ( وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ) أى بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ) أى قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضارهم ولا ناقص منهم شيئاً كما توهمه المشركون فى قولهم ( ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً \* أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ) الآية ، وقوله ( وما كانوا خالدين ) أى فى الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون ( وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد ) وخاصتهم أنهم يوحي إليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه فى خلقه مما يأمر به وينهى عنه ، وقوله ( ثم صدقناهم الوعد ) أى الذى وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال ( فأنجيناهم ومن نشاء ) أى أتباعهم من المؤمنين ( وأهلكنا المسرفين ) أى المكذبين بما جاءت به الرسل .

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ بَأْسُنَا إِذَاهُمْ مِنْهَا يُرْكُضُونَ \* لِأَنْتُمْ كُضُّوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِقْتُمْ فِيهِ وَمَسَّاكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾

يقول تعالى منها على شرف القرآن ومحرضهم على معرفة قدره ( لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ) قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم ( أفلا تعقلون ) أى هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى ( وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تستلون ) وقوله ( وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ) هذه صيغة تكثير كما قال ( وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ) وقال تعالى ( وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ) الآية . وقوله ( وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ) أى أمة أخرى بعدهم ( فلما أحسوا بأسنا ) أى تيقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم ( إذا هم منها يركضون ) أى يفرون هاربين ( لا تتركضوا وارجعوا إلى ما أترقتم فيه ومساكم ) هذا تهميمهم نورا أى قيل لهم نورا لا تتركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة ، قال قتادة استهزاء بهم ( لعلكم تستلون ) أى عما كنتم فيه من أداء شكر النعم ( قالوا يا ويلنا إننا كنا ظالمين ) اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك ( فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ) أى ما زالت تلك المقالة وهى الاعتراف بالظلم هجيراً حتى حصدناهم حصداً وخمدت حركاتهم وأصواتهم خموداً

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ \* لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا قَافِلِينَ \* بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ \* وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق أى بالعدل والقسط ليجزى الدين أساءوا بما عملوا ويجزى الذى

أحسنوا بالحسنى وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً كما قال (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لآخذناهم من لَدُنَّا) يعني من عندنا ، يقول وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا حياة ولا حساباً، وقال الحسن وقتادة وغيرهما (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لآخذناهم من لَدُنَّا) وقال إبراهيم النخعي (لا نتخذناه) من الحور العين، وقال عكرمة والسدي : المراد بالله ههنا الولد وهذا والذي قبله متلازمان وهو كقوله تعالى ( لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ) فتره نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً ولا سيما عما يقولون من الآفك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزير أو الملائكة (سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً) وقوله (إن كنا فاعلين) قال قتادة والسدي وإبراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم أي ما كنا فاعلين وقال مجاهد : كل شيء في القرآن إن فهو إنكار ، وقوله ( بل تذف بالحق على الباطل) أي نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال (فيدمغه فإذا هو زاهق) أي ذاهب مضمحل (ولكم الويل) أي أيها القائلون لله ولد (عما تصفون) أي تقولون وتفترون . ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً فقال (وله من في السموات والأرض ومن عنده) يعني الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يستكفون عنها كما قال (لن يستكف السجدة أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) \* ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) وقوله (ولا يستحشرون) أي لا يتعبون ولا يملون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قصداً وعملاً قادرين عليه كما قال تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء . فقال رسول الله ﷺ « إني لأسمع أطيظ السماء وما تلام أن تثط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » غريب ولم يخرجوه ثم رواه أعني ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي زريع عن سعيد عن قتادة مرسلًا ، وقال محمد بن إسحاق عن حسان بن محارق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست إلى كعب الأخبار وأنا غلام فقلت له رأيت قول الله تعالى للملائكة ( يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل . فقال من هذا الغلام ؟ فقالوا من بنى عبد المطلب ، قال : فقبل رأسي ثم قال يا بني إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنت تتنفس وتمشي وأنت تتنفس ؟

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ \* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أي هم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض أي لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله نداً وعبدها معه ، ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والأرض فقال (لو كان فيهما آلهة) أي في السموات والأرض (لفسدتا) كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) وقال ههنا (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أي عما يقولون أن له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وترزه عن الذي يفترون ويأفكون علواً كبيراً. وقوله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وهم يسئلون) أي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وهذا كقوله تعالى (وهو يجيز ولا يجار عليه)

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ \* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

يقول تعالى ( أم اتخذوا من دونه آلهة قل يا محمد هاتوا برهانكم ) أى دليلكم على ما تقولون ( هذا ذكر من معي )  
يعنى القرآن ( وذكر من قبلى ) يعنى الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبى  
أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأتهم معرضون عنه ولهذا قال ( وما أرسلنا  
من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) كما قال ( وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من  
دون الرحمن آلهة يعبدون ) وقال ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) فكل نبى  
بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والقطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة  
عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ \* لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ  
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ \* وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ  
مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب إن الملائكة بنات الله  
فقال ( سبحانه بل عباد مكرمون ) أى الملائكة عباد الله مكرمون عنده فى منازل عالية ومقامات سامية وهم له فى غاية  
الطاعة قولاً وفعلاً ( لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ) أى لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به  
بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية ( يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ) وقوله  
( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) كقوله ( من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ) وقوله ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )  
فى آيات كثيرة فى معنى ذلك ( وهم من خشيته ) أى من خوفه ورهبته ( مشفقون \* ) ومن يقل منهم إنى إله من دونه  
أى ادعى منهم أنه إله من دون الله أى مع الله ( فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ) أى كل من قال ذلك وهذا  
شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) وقوله ( لئن أشركت ليحبطن عملك  
ولتكونن من الخاسرين )

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ  
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ \* وَجَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا  
السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي  
فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴾

يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم فى خلقه الأشياء وقهره لجميع الخواقات فقال ( أو لم ير الذين  
كفروا ) أى الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره أم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المتبد بالتدبير فكيف يليق  
أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه أم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أى كان الجميع متصلا بعضه ببعض

متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمرت السماء وأنبئت الأرض ولهذا قال ( وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ) أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء  
ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال سئل ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال أرايتم السموات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناها . قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني بما قال لك ، قال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتى في القرآن علما ، صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتى في القرآن علما وقال عطية العوفي كانت هذه رتقا لا تمطر فأمرت وكانت هذه رتقا لا تنبت فأنبئت ، وقال إسماعيل بن أبي خالده سألت أبا صالح الحنفي عن قوله ( أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سموات وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين ، وهكذا قال مجاهد وزاد ولم تكن السماء والأرض مناسيتين . وقال سعيد بن جبير بل كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه ، وقال الحسن وقتادة كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهواء وقوله ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) أي أصل كل الأحياء . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أنه قال يابني الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شيء قال : « كل شيء خلق من ماء » . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة قال : قلت يارسول إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئتني عن كل شيء قال « كل شيء خلق من ماء » قال قلت أنبئتني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة . قال « أفتش السلام وأطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام » ورواه أيضا عبد الصمد وعفان وبهز عن همام تفرد به أحمد وهذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا والله أعلم . وقوله ( وجعلنا في الأرض رواسي ) أي جبالا أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس ليشهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والحكم والدلالات ، ولهذا قال ( أن تميد بهم ) أي لئلا تميد بهم ، وقوله ( وجعلنا فيها فجاجا سبلا ) أي نورا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة نيرة ليسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا ولهذا قال ( لعلهم يهتدون ) وقوله ( وجعلنا السماء سقفا محفوظا ) أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال ( والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ) وقال ( والسماء وما بناها ) ( أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ) والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس » أي خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تمهده العرب ( محفوظا ) أي عاليا محروسا أن ينال وقال مجاهد : مرفوعا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن يحيى عن إسحق التميمي عن جعفر بن أبي الصيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رجل يارسول الله ما هذه السماء قال « موج مكفوف عنكم » إسناده غريب وقوله ( وهم عن آياتها

معرضون) كقوله (وكأن من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليالها ونهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكاله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسيرها . وقد ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه التفكير والاعتبار : أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلمت غمامة فلم يرد ذلك الرجل شيئاً مما كان يحصل لغيره فشكى ذلك إلى أمه فقالت له يا بني فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فلعلك هممت قال لا ولا هممت قالت فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيراً قالت فمن ههنا أتيت ثم قال منها على بعض آياته ( وهو الذي خلق الليل والنهار ) أي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضائه . وأنسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر ( والشمس والقمر ) هذه لها نور يخصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر ( وكل في فلك يسبحون ) أي يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل في الفلكة قال مجاهد فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا الفلكة إلا بالمغزل ، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن كما قال تعالى ( فالحق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم )

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فِهِمُ الْخَالِدُونَ ﴾ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْبَشَرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك ) أي يا محمد ( الخلد ) أي في الدنيا بل ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحي إلى الآن لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً وقد قال تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) وقوله ( أفائن مت ) أي يا محمد ( فهم الخالدون ) أي يؤمنون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى الفناء ولهذا قال تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ) وقد روى عن الشافعي رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ففلك سبيل لست فيها بأوحد  
فقل للذي يعني خلاف الذي مضى تمهياً لأخرى مثلها فكأن قد

وقوله ( ونبلوكم بالبشر والخير فتنة ) أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعمة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم بالبشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله ( وإلينا ترجعون ) أي فنجازيكم بأعمالكم

﴿ وَإِذَا رَأَءَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَدْعُرُكُمُ الْهَيْهَاتَ وَمَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ \* خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ( وإذ أراك الذين كفروا ) يعني كفار قريش كأبي جهل وأشباهه ( إن يتخذونك لإهزوا ) أي يستهزئون بك وينتقصونك يقولون ( أهذا الذي يدرك آلهتكم ) يعنون أهذا الذي يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى ( وهم يدرك الرحمن هم كافرون ) أي وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال في الآية الأخرى ( وإذ أراوك إن يتخذونك لإهزوا أهذا الذي بعث الله رسولا \* إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً ) وقوله ( خلق الإنسان من عجل ) كما قال في الآية الأخرى ( وكان الإنسان عجولاً ) أي في الأمور قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق

الخلائق فلما أحيى الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلى - وقبض أصابه يقللها - فسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه » قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهى التى خلق الله فيها آدم قال الله تعالى ( خلق الإنسان من عجل سَأريكم آياتي فلا تستعجلون ) والحكمة فى ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلات الله وسلامه عليه وقع فى النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى خلق الإنسان من عجل لأنه تعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال ( سَأريكم آياتي ) أى تقمى وحكمى واقتدارى طى من عصانى ( فلا تستعجلون )

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ \* بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضاً بوقوع العذاب بهم تكديبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) قال الله تعالى ( لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) أى لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا . ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ( لهم من فوقهم ظلك من النار ومن تحتهم ظلك ) ( لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ) وقال فى هذه الآية ( حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) وقال ( سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ) فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ( ولا هم ينصرون ) أى لا ناصر لهم كما قال ( وما لهم من الله من واق ) وقوله ( بل تأتيتهم بغتة ) أى ( تأتيتهم النار بغتة ) أى فجأة ( فتبتهتهم ) أى تذعرهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون ( فلا يستطيعون ردها ) أى ليس لهم حيلة فى ذلك ( ولا هم ينظرون ) أى ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

﴿ وَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* قُلْ مَن يَكْلَأُ كُفْمَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ \* أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾

يقول تعالى مسلماً لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب ( وقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ) أى لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ( لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ) وقال فى هذه الآية ( حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ) وقال ( سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ) فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ( ولا هم ينصرون ) أى لا ناصر لهم كما قال ( وما لهم من الله من واق ) وقوله ( بل تأتيتهم بغتة ) أى ( تأتيتهم النار بغتة ) أى فجأة ( فتبتهتهم ) أى تذعرهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون ( فلا يستطيعون ردها ) أى ليس لهم حيلة فى ذلك ( ولا هم ينظرون ) أى ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

جارية لم تلبس الرقما ولم تذق من البقول الفستقا

أى لم تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى ( بل هم عن ذكر ربهم معرضون ) أى لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه ثم قال ( أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ) استفهام إنكار وتقر يع وتوب يسخ ، أى ألهم آلهة تمنعهم وتكفؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ، ولا كما زعموا ولهذا قال ( لا يستطيعون نصر أنفسهم ) أى

هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله ( ولا هم منا يصحبون ) قال العوفي عن ابن عباس  
ولا هم منا يصحبون أي يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون يمنعون

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا  
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ \* وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ  
مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ  
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن المشركين إنما غرهم وحلمهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متعوا في الحياة الدنيا ونعموا  
وطال عليهم العمر فيما هم فيه فاعتقدوا أنهم على شيء ثم قال واعظالمهم ( أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من  
أطرافها ) اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى ( ولقد أهلكنا ما حولكم  
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ) وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر والمعنى أفلا  
يعتبرون بنصر الله لأولياته على أعدائه وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال  
( أنهم الغالبون ) يعني بل هم الغالبون الأسفلون الأخسرون الأردلون وقوله ( قل إنما أُنذركم بالوحي ) أي إنما أنا مبلغ  
عن الله ما أُنذرتكم به من العذاب والشكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لا يجدي هذا عمن أعمى الله  
بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال ( ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ) وقوله ( ولئن مسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ  
رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) أي ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم  
وأهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ) أي ونضع  
الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ، وقوله  
( فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ) كما قال تعالى ( ولا يظلم ربك أحدا )  
وقال ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ) وقال لقمان ( يا بني إنما إن تك  
مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ) وفي الصحيحين  
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن  
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن  
ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله  
صلى الله عليه وعلى وسلم « إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أممي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه  
تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتسرك من هذا شيئا ؟ أظلمت كتبتي الحافظون ؟ قال لا يارب قال  
أفلك عذر أو حسنة ؟ قال فهت الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظم عليك اليوم  
فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول أحضروه فيقول يارب ما هذه  
البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات  
وثقلت البطاقة قال ولا يتحمل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم (١) » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد  
وقال الترمذي حسن غريب وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن يحيى عن أبي عبد الرحمن  
الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى  
بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيما يبل به الميزان قال فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر به إذا صاح

(١) هكذا في الأصل ورواية الترمذي فلا يتحمل مع اسم الله شيء اه

من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فانه قد بقى له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان » وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو نوح مرارا أنبأنا لث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبون ويغنونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لالك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقى قبلك » فجعل الرجل يبيح بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ « ما له لا يقرأ كتاب الله ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ) » فقال الرجل يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ \* وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال ( ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ) قال مجاهد يعني الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل ، وقال ابن زيد يعني النصر وجامع القول في ذلك أن الكتب السابوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والنعى والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية وخوفاً وإنابة وخشية ولهذا قال ( الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين ) أى تذكرياً لهم وعظة ، ثم وصفهم فقال ( الذين يخشون ربهم بالغيب ) كقوله ( من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ) وقوله ( إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ) ( وهم من الساعة مشفقون ) أى خائفون وجلون ، ثم قال تعالى ( وهذا ذكر مبارك أنزلناه ) يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ( أفأنتم له منكرون ) أى أفنتكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور ؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ لَتَمَٰثِيلُ أَلْتَبِئْتُمْ لَهَا عِبَادَةً \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قَالُوا أَلَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ \* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

يخبر تعالى عن خليفه إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل أى من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى ( وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ) وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع وأنه خرج به بعد أيام فنظر إلى الكوكب والخالوقات فبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بنى إسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئاً من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدق ولا نكذب بل نجعله وقتاً وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبيتته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية

لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتعل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة. والقصود ههنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده من قبل أى من قبل ذلك وقوله ( وكنا به عالمين ) أى وكان أهلاً لذلك ، ثم قال ( إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون هذا هو الرشد الذى أوتيه من صغره الأنكار على قومه فى عبادة الأصنام من دون الله عز وجل فقال ( ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ) أى معتكفون على عبادتها قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد بن طريف عن الأصم بن نباتة قال: مر على رضى الله عنه على قوم يلعبون بالشرط نج فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم حجراً حتى يظفأخيره من أن يمسه ( قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ) لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ولهذا قال ( لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ) أى الكلام مع آباءكم الذين احتججتم بصنيعهم كالسلام معكم فأنتم وهم فى ضلال على غير الطريق المستقيم ، فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آلهتهم ( قالوا أجتنبنا بالحق أم أنت من اللاعنين ) يقولون هذا السلام الصادر عنك تقوله لا عننا أو محققا فيه فإننا لم نسمع به قبلك ( قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ) أى ربكم الذى لا إله غيره وهو الذى خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذى ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء ( وأنا على ذلكم من الشاهدين ) أى وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۖ فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاً إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۗ ﴾  
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۗ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۗ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۗ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ ۗ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۗ

ثم أقسم الخليل قسماً سمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أى ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أى إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه، قال السدى: لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبو يابن لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم فجعلوا يمررون عليه وهو صريع فيقولون: مه فيقول إني سقيم فلما جاز عامتهم وبقى ضعفاؤهم قال ( تالله لأكيدن أصنامكم ) فسمعه أولئك : وقال ابن إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال إني سقيم وقد كان بالأمس قال ( تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ) فسمعه ناس منهم وقوله ( فجعلنهم جذاً ) أى حطاما كسرها كلها إلا كبيرا لهم يعنى إلا الصنم الكبير عندهم كما قال ( فراغ عليهم ضرباً باليمين ) وقوله ( لعلهم إليه يرجعون ) ذكرو أنه وضع القدم فى يذكيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذى غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها ( قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ) أى حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والاذلال الدال على عدم إلهيتها وعلى سخافة عقول عابديها ( قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ) أى فى صنيعه هذا ( قالوا سمعنا فتى يذكُرهم يقال له إبراهيم ) أى قال من سمعه يحلف إنه ليكيدنهم سمعنا فتى أى شاباً يذكُرهم يقال له إبراهيم ، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبياً إلا شاباً ولا أوتى العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية ( قالوا سمعنا فتى يذكُرهم يقال له إبراهيم ) . وقوله ( قالوا فأتوا به على أعين الناس ) أى على رؤوس الأشهاد فى الملأ الأكبر بمحضرة الناس كلهم وكان هذا هو القصد الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين فى هذا الحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم فى عبادة هذه الأصنام التى لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تملك لها نصراً فكيف يطلب منها شئ من

ذلك؟ ( قالوا أنت فعلت هذا بأهنتنا يا إبراهيم فإله بل فعله كبيرهم هذا ) يعنى الذى تركه لم يكسره ( فأسألوهم إن كانوا ينطقون ) وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد . وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث : ثنتين في ذات الله قوله ( بل فعله كبيرهم هذا ) وقوله ( إني سقيم ) - قال - وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلاً فأبى الجبار رجل فقال إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه ف جاء فقال ما هذه المرأة منك قال أختي قال فإذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى سارة فقال إن هذا الجبار قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبي عنده فانك أختي في كتاب الله وإنه ليس في الأرض مسلم غيرى وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلى ، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذ شديدا فقال ادعى الله لى ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها فتناولها فأخذ بمنثها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأولين فقال ادعى الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجابها فقال إنك لم تأتى بإنسان ولكنك أتيتنى بشيطان أخرجها وأعطاها هاجر . فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انقل من صلاته وقال مبهم قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخذمنى هاجر » قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال تلك أمكم يا بنى ماء السماء

﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ \* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى محجرا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال ( فرجعوا إلى أنفسهم ) أى باللامنة في عدم احترامهم وحراستهم لأنهم فقالوا ( إنكم أنتم الظالمون ) أى في ترككم لها مهملة لا حافظ عندها ( ثم نكسوا على رؤوسهم ) أى ثم أطرقوا في الأرض فقالوا ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) وقال السدى ( ثم نكسوا على رؤوسهم ) أى في الفتنة وقال ابن زيد أى في الرأى وقول قتادة أظهر فى المعنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزا ولهذا قالوا له ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك ( أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ) أى إذا كانت لا تنطق وهى لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله ( أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ) أى أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والسفر الغليظ الذى لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر . فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى ( وتلك حجبتنا آتينها إبراهيم على قومه ) الآية

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾

لما حضرت حجبتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين فجمعوا حطبا كثيرا جدا ، قال السدى حتى إن كانت المرأة تمرض فتندرن إن عوفيت أن تحمل حطبا لحريق إبراهيم ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها نارافكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد ناراقط مثلها وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب من فارس الأكراد ، قال شعيب الجبائى

اسمه هيزن فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو هشام حدثنا إسحاق بن سليمان عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك » وروى أنه لما جعلوا يوثقونه قال: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ، وقال شعيب الجبائي كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة فأنه أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال أنك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله فبلى ، وقال سعيد بن جبير وروى عن ابن عباس أيضا قال لما ألقى إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله ( يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ) قال لم يبق نار في الأرض إلا طفتت وقال كعب الأحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الأعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب ( قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ) قال لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لأذى إبراهيم بردها ، وقال جويرير عن الضحاك كوني بردا وسلاما على إبراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء حتى أحمدها الله قال ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل

وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الليث بن عمر قال أخبرت أن إبراهيم ألقى في النار قال فكان فيها إما خمسين وإما أربعمائة ما كنت أياها وليالي قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو ابن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار ووجهه يرشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا إبراهيم وقال قتادة لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ وقال الزهري أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ومما فوسقا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثني عمي حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثني مولاة الفاكه بن اللعيرة المخزومي قالت دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رحما فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرحم ؟ فقالت تقتل به هذه الأوزاغ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطيق النار غير الوزغ فانه كان ينفض على إبراهيم » فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله ، وقوله ( وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين ) أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بني الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فقلبوا هنالك ، وقال عطية العوفي لما ألقى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ \* وَلُوطًا إِتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَوْمًا سَوَاءً قَسِيحِينَ \* وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

يقول تعالى يخبر عن إبراهيم أنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض

المقدسة منها . قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله ( إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فأناجى الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي أرض المحشر والنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال ، وقال كعب الأحبار في قوله ( إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ) إلى حران وقال السدي انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلق إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن يفر بها ، رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً من بلاده ، وقال العوفي عن ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله ( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ) وقوله ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ) قال عطاء ومجاهد عطية ، وقال ابن عباس وقاتة والحكم بن عيينة النافلة ولد الولد يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال ( فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب ) وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم سألت واحدا فقال ( رب هب لي من الصالحين ) فأعطاه الله إسحق وزاده يعقوب نافلة ( وكلا جعلنا صالحين ) أي الجميع أهل خير وصلاح ( وجعلناهم أئمة ) أي يقتدى بهم ( يهدون بأمرنا ) أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال ( وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ) من باب عطف الخاص على العام ( وكانوا لنا عابدين ) أي فاعلين لما يأمرهم الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن آزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى ( فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي ) فاتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبثه إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز ولهذا قال ( ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين \* وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين )

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَنَصْرَانَهُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه ( فدعا به أتى مغلوب فاتصر ) وقال نوح ( رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ) ولهذا قال ههنا ( إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله ) أي الذين آمنوا به كما قال ( وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ) وقوله ( من الكرب العظيم ) أي من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل فلم يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يتصدون الأذى ويتواصون قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل على خلافه ، وقوله ( ونصرناه من القوم ) أي ونجيناه وخلصناه منتصراً من القوم ( الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ) أي أهلكهم الله بعامته ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ \* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا دَاوُدَ إِذْ يَخُوضُ مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ \* وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخَصِّنَكُمْ مِنَ بَأْسِكُمْ فَلَمَّا أَنْتُمْ سُكْرُونَ \* وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

بِرَاكِنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ \* وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَفْضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿

قال ابن إسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عنا قيده ، وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفس الرعى ، وقال شريح والزهرى وقتادة ، النفس لا يكون إلا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الاصم قالا حدثنا الحاربي عن أشعث عن أبي إسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله ( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ) قال كرم قد أنبتت عنا قيده فأفسدته قال قضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يابني الله قال وماذا قال تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فذلك قوله ( ففهمناها سليمان ) وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد حدثنا خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لتقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضى بينهم ؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبي إسحاق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذي نفشت فيه الغنم إنما كان كرماً فلم تدع فيه ورقة ولا عنقوداً من عنب إلا أكلته فأتوا داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ثم يعطى أهل الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هارون أن ابن إسماعيل عن عامر قال جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما إن شياه هذا قطعت غزلاً لي فقال شريح نهاراً أم ليلاً فإن كان نهاراً فقد برىء صاحب الشياه وإن كان ليلاً فقد ضمن ثم قرأ ( وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ) الآية وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن الزهرى عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت اللواشى بالليل ضامن على أهلها ، وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب الأحكام وبالله التوفيق ، وقوله ( ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد أن إياس بن معاوية لما استقضى أتمه الحسن فبكى فقال ما يبكيك ؟ قال يا أبا سعيد بلغني أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصرى إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء حكماً يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى ( وداود وسليمان إذا يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ) فأنهى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال يعني الحسن إن الله اتخذ على الحكم ثلاثاً لا يشترها به ثمناً قليلاً ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحداً ثم تلا ( يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ) وقال ( فلا تخشوا الناس واخشوني ) وقال ( ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ) قلت أما الأنبياء عليهم السلام فسلكهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخارى عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد

فأخطأ فله أجر » فهذا الحديث يرد نصاماتوهمه إياس من أن القاضى إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار والله أعلم ، وفي السنن :  
القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار ، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل  
فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن مارواه الإمام أحمد  
في مسنده حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله  
ﷺ « بينا امرأتان معهما ابنتان لهما إذ جاء اللدب فأخذ أحد الابنتين فتحا كتما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا  
فدعاها سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنا لا تشقه فقضى به للصغرى » وأخرجه  
البخارى ومسلم في صحيحهما وبوب عليه النسائي في كتاب القضاء (باب الحاكم يوم خلاف الحكم ليستعلم الحق ) وهكذا  
القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه من طريق الحسن بن سفيان  
عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشر عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها  
أن امرأة حسناء في زمان بنى إسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتعت على كل منهم فاتفقوا فيما بينهم عليها  
فشهدوا عند داود عليه السلام أنها مكنت من نفسها كلباً لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم  
جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فاتصب حاكما وتزيا أربعة منهم بزى أولئك وآخر بزى المرأة وشهدوا عليها  
بأنها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال أسود فعزله واستدعى الآخر  
فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فحكى ذلك لداود عليه السلام  
فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب فاختلوا عليه فأمر بقتلهم وقوله ( وسخرنا  
مع داود الجبال يسبحن والطير ) الآية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء  
فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويها ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من  
الليل وكان له صوت طيب جدا فوقف واستمع لقراءته وقال « لقد أوتي هذا زماراً من زمير آل داود » قال  
يارسول الله لو علمت أنك تستمع لخبرته لك تحييراً . وقال أبو عثمان النهدي ما سمعت صوت صنع ولا يربط ولا زمير  
مثل صوت أبي موسى رضى الله عنه ، ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام « لقد أوتي زماراً من زمير آل داود »  
وقوله ( وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ) يعنى صنعة الدروع قال قتادة إنما كانت الدروع قبله صفائح  
وهو أول من سردها حلقة كما قال تعالى ( وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدر في السرد ) أى لاتوسع الحلقة فتقلق  
السبارة ولا تغلظ السبارة فتقد الحلقة ولهذا قال ( لتحصنكم من بأسكم ) يعنى في القتال ( فهل أتم شاكرون ) أى نعم  
الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعله ذلك من أجلكم وقوله . ( وللسليمان الريح عاصفة ) أى وسخرنا لسليمان الريح  
العاصفة ( تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ) يعنى أرض الشام ( وكنا بكل شيء عالمين ) وذلك أنه كان له بساط  
من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة والحيل والجمال والحياض والجند ثم يأمر الريح أن تحمله  
فتدخل تحته ثم تحمله وترفعه وتسير به ونظله الطير تقيه الحر إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلاته وحشمه  
قال الله تعالى ( فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ) وقال تعالى ( غدوها شهر ورواحها شهر ) قال ابن  
أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستائة ألف كرسي فيجلس  
مما يليه مؤمنو الإنس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلمهم ثم يأمر الريح فتحملهم صلى الله عليه  
وسلم وقال عبدالله بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجلبل ثم يأمر بفراشه فيوضع على  
أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الأجنحة فيرتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف  
دون السماء وهو مطأطىء رأسه ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيماً لله عز وجل وشكراً لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله  
عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه وقوله ( ومن الشياطين من يغوصون له ) أى في الماء يستخرجون اللآلىء  
والجواهر وغير ذلك ( ويعملون عملاً دون ذلك ) أى غير ذلك كما قال تعالى ( والشياطين كل بناء وغواص وآخرين

مقرنين في الأصفاد) وقوله (وكنالهم حافظين) أي يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال (وآخرين مقرنين في الأصفاد)

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحراث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلى في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلى في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى عافاه الجليس وأفرد في ناحية من البله ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره ويقال إنها احتاجت فصارت تحمد الناس من أجله وقد قال النبي ﷺ « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » وفي الحديث الآخر « يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زدفي بلائه » وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن الله كرم ثم قال : أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إلي أعطيني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي فليس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوى إبليس بالذي صنعت حسدني . قال فلقي إبليس من ذلك منكراً قال . وقال أيوب عليه السلام يا رب إنك أعطيتني المال والولد فلم يبق علي شيء إلا أن أترك ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك . رواه ابن أبي حاتم وقدرى عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركناها لحال الطول ، وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا السماع فقال الحسن وقتادة ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهرات ملقى على كناسة بني إسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء . وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرماد يكون فيه فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لودعوت ربك يفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة فجزعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأتيه بما تصيب فطمعه وإن إبليس انطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوك أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واحملا معكما فانه من خمر أرضكم فانه إن شرب منه برى فأتياه فلما نظرا إليه بكيا فقال من أتاها فقلا نحن فلان وفلان فرحب بهما وقاله مرحبا بمن لا يجفوني عند البلاء ، فقلا يا أيوب لملك كنت تسر شيئاً وتظهر غيره فلذلك ابتلاك الله فرفع رأسه إلى السماء فقال : هو يعلم ، ما أسررت شيئاً أظهرت غيره ولكن ربي ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع فقلا له يا أيوب اشرب من خمرنا فانك إن شربت منه برأت قال فغضب وقال جاءكم الخبيث فأمركم بهذا ؟ كلامكم وطعامكم وشربكم على حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخبزت لأهل بيت لهم صبي فجعلت لهم قرصاً وكان ابنهم نائماً ففكرها أن يوقظوه فوهبوه لها فأتت به إلى أيوب فأنكره وقال ما كنت تاتيني بهذا فما بالك اليوم فأخبرته الخبر قال فلعل الصبي قد استيقظ فطلب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلقتي به إليه فاقبلت حتى بلغت درجة القوم فطحتها شاة لهم فقالت تعس أيوب الحطاء فلما صدعت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئاً غيره فقالت رحمه الله يعني أيوب فدفعت إليه

القرص ورجعت ثم إن إبليس أتاها في صورة طيب فقال لها إن زوجك قد طال سقمه فإن أراد أن يبرأ فليأخذ ذباباً فليذبحه باسم صنم بني فلان فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الحبيث لله على إن رأيت أن أجلك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لاتأتي أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرناً فباعته من صبية من بنات الأشراف فأعطوها طعاماً طيباً كثيراً فأنت به أيوب فلما رآه أنكره وقال من أين لك هذا قالت عملت لأناس فأطعموني فأكل منه فلما كان الغد خرجت فطابت أن تعمل فلم تجد فحلقت أيضاً قرناً فباعته من تلك الجارية فأعطوها أيضاً من ذلك الطعام فأنت به أيوب فقال والله لأطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت فخارها فلما رأى رأسها محلوفاً جزع جزعاً شديداً فعند ذلك دعا الله عز وجل فقال (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالى أن الشيطان الذى عرج فى أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بنى إسرائيل فقال بعضهم لبعض: ما أصابه، ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب عليه السلام أخوان فجا آيوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء قط فقال: اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال: اللهم بعزتك ثم خرساجدا فقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسى أبداً حتى تكشف عني فمارفع رأسه حتى كشف عنه، وقدرناه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعاً بنحو هذا فقال أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عجيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن نبي الله أيوب لبت به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له كانا يمدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذلك قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارداً وشراباً» رفع هذا الحديث غريب جداً. وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسناه الله حلة من الجنة فتنجى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا المبتلى الذى كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئب فجعلت تسكلمه ساعة. فقال ويحك أنا أيوب قالت أتسخر منى يا عبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدى، وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عياناً ومثلهم معهم، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قرباناً واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك. رواه ابن أبي حاتم. وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن الضر بن أنس عن بشر بن ميمون عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادة من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجعله في ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشبع قال يارب ومن يشبع من رحمتك» أصله في الصحيحين وسيأتى في موضع آخر. وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قد تقدم عن ابن عباس أنه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضاً وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة، وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعده النجعة، وإن كان

أخذه من نفل أهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب ، وقد سماها ابن عساكر في تاريخه: رحمة الله تعالى قال ويقال اسمها ليا بنت ميثا بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة أيوب كانت معه بأرض الثنية ، وقال مجاهد قيل له يا أيوب إن أهلك لك في الجنة فان شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل أتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا ، وقال حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال أوتي أجرهم في الآخرة وأعطى مثلهم في الدنيا ، قال فحدثت به مطرفا فقال ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روى عن قتادة والسدي وغير واحد من السلف والله أعلم وقوله (رحمة من عندنا) أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به (وذكرى للعابدين) أي وجعلناه في ذلك قدوة لثلاثين أهل البلاء أما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وإبتلائه لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك .

﴿ وَاسْمَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ \* وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس عليه السلام وأما ذوال الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي وقال آخرون إنما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف ابن جرير في ذلك فأنه أعلم. قال ابن جرير عن مجاهد في قوله (وذا الكفل) قال رجل صالح غير نبي تكفل لني قومه أن يكفيه أمر قومه ويقمهم له ويقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكفل وكذا روى ابن أبي نجيب عن مجاهد أيضا ، وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أتى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث أستخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزديه الأعين فقال أنا ، فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآ . فسكت الناس : وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال ففعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فعسى دعوني وإياه فأناه في صورة شيخ كبير فقير فأناه حين أخذ مضجعه للقائلة - وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم ، قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلاواي وفعلاواي ، وجعل يطول عليه حتى حضر الروح وذهبت القائلة فقال إذ ارحت فأنتي آخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك إذا قدمت فأنتي قال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك وإذا قت جحدوني قال فانطلق فاذا رحمت فأنتي قال فقافته القائلة فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه العباس فقال لبعض أهله لا تدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فأني قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل: وراءك، وراءك قال إني قد أتيتك أمس وذكرت له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يافلان ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم توث فأنظر من أين أتيت قال فقام إلى الباب فاذا هو معلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعيتتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به . وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن إسحق عن داود عن مجاهد بثله ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن مسلم قال : قال ابن عباس كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامى على أن لا يغضب قال : فقال رجل: أنا فسمى ذا الكفل

قال فكان ليله جميعاً يصلى ثم يصبح صائماً فيقضى بين الناس قال وله ساعة يقيلها قال فكان كذلك فأتمه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه مالك ؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصبح عمداً حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال إنسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبى قال اذهب أنت إليه قال فذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً قال اذهب إليه فقل له يعطيك حقا فذهب ثم جاء من الغد حين قال : قال فقال له أصحابه اخرج فعل الله بك تجيء كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصبح من أجل أنى إنسان مسكين لو كنت غنيا ، قال فسمع أيضاً فقال مالك قال ذهبت إليه فضربني ، قال امش حتى أجيء معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه ثريده منه ففر . وهكذا روى عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حنيفة الأكر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشر حدثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال سمعت الأشعري وهو يقول على هذا المنبر : ما كان ذو الكفل نبياً ولكن كان - يعني في بنى إسرائيل - رجل صالح يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل ، وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال أبو موسى الأشعري فذكره منقطعاً والله أعلم ، وقد روى الإمام أحمد حديثاً غريباً فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أسمعته إلا مرة أو مرتين حتى عدت سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال « كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتمه امرأة فأعطاه ستين ديناراً على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعله قط !! ثم نزل فقال اذهبي بالك نانير لك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه قد غفر الله للكفل » هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فعله رجل آخر والله أعلم

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

هذه القصة المذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن ، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلوا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادهما ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورغبت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادهما ، وثقت العنم وسخالها ، فرجع الله عنهم العذاب قال الله تعالى ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ) وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يفرقوا فآثروا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً قال الله تعالى ( فساهم فكان من المدحضين ) أى وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود -

حوتاً يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً فإن يونس ليس لك رزقا وإنما بطنك تكون له سجناً ، وقوله ( وذا النون ) يعني الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة . وقوله ( إذ ذهب مغاضباً ) قال الضحاك لقومه ( فظن أن لن نقدر عليه ) أى نضيق عليه فى بطن الحوت يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى ( ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهها \* سيجعل الله بعد عسر يسراً ) وقال عطية العوفى أى فظن أن لن تقدر عليه أى تقضى عليه كما أنه جعل ذلك بمعنى التقدير فإن العرب تقول قدر وقدر بمعنى واحد ، وقال الشاعر  
فلا عائد ذاك الزمان الذى مضى \* تباركت ما تقدر يكن ذلك الأمر

ومنه قوله تعالى ( فالتقى الماء على أمر قد قدر ) أى قدر وقوله ( فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روى عن ابن عباس وعمرو ابن ميمون وسعيد بن جبير وعمر بن كعب والضحاك والحسن وقتادة وقال سالم بن أبى الجعد: ظلمة حوت فى بطن حوت آخر فى ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت فى البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى فى قراره فعند ذلك وهنالك قال ( لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ) وقال عوف الأعرابي لما صار يونس فى بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجله فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يارب اتخذت لك مسجداً فى موضع لم يبلغه أحد من الناس وقال سعيد بن أبى الحسن البصرى مكث فى بطن الحوت أربعين يوماً رواهما ابن جبير وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن ابن مسعود بن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذ ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال فى نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم ليلة عمل صالح ، قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقتله فى الساحل كما قال الله تعالى ( وهو سقيم ) » رواه ابن جرير ورواه البزار فى مسنده من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة فذكر بنحوه ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخى ابن وهب ثنا عمى حدثنى أبو صخر أن يزيد الرقاشى قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنس يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أن يونس النبي عليه السلام حين بدأ له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك ؟ قالوا لا يا رب ومن هو ؟ قال عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب أولاً ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنتجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحة فى العراء ، وقوله ( فاستجبنا له ونجيناها من الغم ) أى أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات ( وكذلك نتجى المؤمنين ) أى إذا كانوا فى الشدائد ودعونا منيبين اليها ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء فى حال البلاء فقد جاء الترغيب فى الدعاء به عن سيد الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبى إسحاق الهمداني حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد حدثنى والدى محمد عن أبيه سعد هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال مررت بعثمان ابن عفان رضى الله عنه فى المسجد فسلمت عليه فملاً عينيه منى ثم لم يرد على السلام فأثيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث فى الإسلام شيء مرتين قال لا وما ذلك قلت لا إلا أتى مررت بعثمان آنفاً فى المسجد فسلمت عليه فملاً عينيه منى ثم لم يرد على السلام قال فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك

السلام قال ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم إن عثمان ذكر فقال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي آنفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرت قط إلا تعشى بصرى وقلبي غشاوة قال سعد فأنا أنبتك بها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا أبو إسحاق؟ » قال قلت نعم يا رسول الله قال « فمه » قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك قال « نعم دعوة ذى النون إذ هو في بطن الحوت ( لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ) فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له » ورواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير ابن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب بن سعد عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا بدعاء يونس استجيب له » قال أبو سعيد يريد به ( وكذلك تنجى المؤمنين ) وقال ابن جرير حدثني عمران ابن بكار السكلاعى حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى » قال قلت يا رسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال « هى ليونس بن متى خاصة ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل ( فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجى المؤمنين ) فهو شرط من الله لمن دعاه به » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا داود بن المخبر بن محمد بن سعد بن كثير بن معبد قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد: اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى؟ قال ابن أخى أما تقرأ القرآن قول الله تعالى ( وذا النون إذ ذهب مغاضبا - إلى قوله - وكذلك تنجى المؤمنين ) ابن أخى هذا اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبيا وقد تقدمت القصة مبسوطه فى أول سورة مريم وفى سورة آل عمران أيضاً وههنا أخصر منها ( إذ نادى ربه ) أى خفيه عن قومه ( رب لا تذرني فردا ) أى لا ولدلى ولا وارث يقوم بعدى فى الناس ( وأنت خير الوارثين ) دعاء وثناء مناسب للمسئلة قال الله تعالى ( فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ) أى امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : كانت عاقراً لا تلد فولدت وقال عبد الرحمن بن مهدى عن طلحة بن عمرو عن عطاء كان فى لسانها طول فأصلحها الله وفى رواية كان فى خلقها شيء فأصلحها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدى والأظهر من السياق الأول . وقوله ( إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ) أى فى عمل القربات . وفعل الطاعات ( ويدعوننا رغبا ورهبا ) قال الثورى رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا ( وكانوا لنا خاشعين ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد : مؤمنين حقا وقال أبو العالية خائفين وقال أبو سنان الحشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً وعن مجاهد أيضا خاشعين أى متواضعين وقال الحسن وقتادة والضحاك خاشعين أى متذللين لله عز وجل وكل هذه الأقوال متقاربة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن محمد الطنافسى حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشى عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضى الله عنه ثم قال : أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله وتثناؤه عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرغبة وتجمعوا

الإلحاف بالمسئلة فإن الله عز وجل أنى على زكريا وأهل بيته فقال (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَمَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام فيذكر أولاً قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لأن تلك مربوطه بهذه فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقرة لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم وههنا ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله (والتي أحصنت فرجها) يعني مريم عليها السلام كما قال في سورة التحريم (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقوله (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أى دلالة على أن الله على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله (ولنجعله آية للناس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن شيب عن ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (للعالمين) قال العالمين الجن والإنس

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ \* وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (إن هذه أمة واحدة) يقول دينكم دين واحد وقال الحسن البصرى في هذه الآية يبين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال (إن هذه أمة واحدة) أى سنتكم سنة واحدة فقوله إن هذه إن واسمها وأمتكم خبر إن أى هذه شريعتكم التى بينت لكم ووضحت لكم وقوله أمة واحدة نصب على الحال ولهذا قال (وأنا ربكم فاعبدون) كما قال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - إلى قوله - وأنا ربكم فاتقون) وقال رسول الله ﷺ «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» يعنى أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال (كل إلينا راجعون) أى يوم القيامة فيجازى كل بحسب عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولهذا قال (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) أى قلبه مصدق وعمله عملاً صالحاً (فلا كفران لسعيه) كقوله (إننا لانضيع أجر من أحسن عملاً) أى لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال (وإننا له كاتبون) أى يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ \* وَقَاتَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيِبْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

يقول تعالى (وحرام على قرية) (وحرام على قرية) قال ابن عباس وجب يعنى قد قدر أن أهل كل قرية أهلوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة هكذا صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أى لا يتوبون والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) قد قدمنا أنهم من سلالة

آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أي أبي الترك والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذوالقرنين وقال (هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا \* وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون في الشئ إلى الفساد، والحدب هو المرتفع من الأرض قاله ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والثوري وغيرهم وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك (ولا ينبئك مثل خبير) هذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والأرض لا إله إلا هو . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي يزيد قال : رأى ابن عباس صبيانا يتزود بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية ﴿ فالحديث الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل ( وهم من كل حدب ينسلون ) فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال ثم يهن أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فينبأهم على ذلك بعث الله عز وجل دودا في أعناقهم كنعف الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ، قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطئها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحوهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط » ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق به ، ﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الإمام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حصص حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكلبي قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال « غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه شاب جعد قطط عينه طافية وإنه يخرج خلة بين الشام والعراق فعات يميننا وشمالا يعباد الله اثبتوا - قلنا يارسول الله مالئته في الأرض ؟ - قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذي هو كسنة أي كسنة في ليلة قال « لا . اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله فما أسرع في الأرض قال « كالغيث استدبرته الريح قال فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى وأمدته خواصر وأسبغه ضروعا ويمر بالحي فيدعوهم فيزدون عليه قوله فتنبه أموالهم فيصبحون محلين ليس لهم من أموالهم شيء ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتنبه كنوزها كما سبب النحل - قال - ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل إليه فينبأهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهورودتين واضما يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند بابل الشرقى - قال - فينبأهم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أني قد أخرجت عبادا من عبادي لا يدان لك بقتالهم فحرر عبادي إلى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى ( وهم من كل حدب ينسلون ) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفا فيرقاهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتا إلا قد ملأه

زهمهم وتنتهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله « قال ابن جابر فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهيل : قال ابن جابر قفلت يا أبا يزيد وأن المهيل قال مطلع الشمس قال « ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوماً فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ويقال للأرض انبتى ثمرك ودري بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظنون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر تكفي الفخذ . والشاة من الغنم تكفي أهل البيت قال فيبيناهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحجر وعليهم تقوم الساعة » انفراداً بخارجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرمة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصعبه من لدغة عقرب فقال « إنكم تقولون لا عدو لكم وإنكم لاتزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبدالله بن حرمة المدلجي عن خاله له عن النبي ﷺ فذكره مثله سواء .

﴿ الحديث الرابع ﴾ قد تقدم في آخر تفسير سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد عن هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن مرثد بن عمار عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام - قال - فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربي أن الدجال خارج ومعى قضيبان فإذا رأني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رأني حتى إن الحجر والشجر يقول يامسلم إن تحتي كافراً فعالم فاقته قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم - قال - فعند ذلك يخرج مأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطئون بلادهم ولا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه - قال - ثم يرجع الناس إلى أوطانهم يشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من تنن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيا عهد إلى ربي أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل اللم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلاً أو نهاراً » ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون ﴾ ورواه ابن جرير ههنا من حديث جبلة به والأحاديث في هذا كثيرة جدا والآثار عن السلف كذلك ، وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال : قال كعب إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الدين يلونهم قرع فثوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج فيعيده الله كما كان فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الدين يلونهم قرع فثوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج إن شاء الله فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون حتى يخرجوا فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيفر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع اليهم محضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الأرض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يدى لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دوداً يقال له الننف فيفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيراً تأخذهم بمناقيرها فتلقمهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة يطهر الله الأرض وينبتها حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل

البيت قال فيينا الناس كذلك إذا أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريد به قال فيبعث عيسى بن مريم طليعة سبعائة أو بين السبعائة والثمانائة حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحاً يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبق عجاج الناس فيتسافدون كما تسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيّف حول فرسه متى تضع قال كعب فمن قال بعد قولي هذا شيئاً أو بعد علمي هذا شيئاً فهو النكلاف ، وهذا من أحسن سياقات كعب الأخبار لما شهد له من صحيح الأخبار ، وقد ثبت في الحديث أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق ، وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج بأجوج ومأجوج » انفرد بإخراجه البخارى وقوله (واقرب الوعد الحق) يعنى يوم القيامة إذا حصلت هذه الأهوال والزلزال والبلابل أزفت الساعة واقتربت فإذا كانت ووقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى ( فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ) أى من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام ( ياويلنا ) أى يقولون ياويلنا ( قد كنا فى غفلة من هذا ) أى فى الدنيا ( بل كنا ظالمين ) يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفهم ذلك

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ \* لَوْ كَانَ هُوَ آلَاءَ إِلَهَةٍ مَا وَرَدَهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ \* لَهُمْ فِيهَا زَوْجُرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ \* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَمِتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ \* لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطباً لأهل مكة من مشركى قريش ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال ابن عباس أى وقودها يعنى كقوله (وقودها الناس والحجارة) وقال ابن عباس أيضاً حصب جهنم يعنى شجر جهنم ، وفى رواية قال (حصب جهنم) يعنى حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقاتدة حطبها وهى كذلك فى قراءة على وعائشة رضى الله عنهما وقال الضحاك حصب جهنم أى ما يرمى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله (أنتم لها واردون) أى داخلون (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) يعنى لو كانت هذه الأصنام والأنداد التى اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها (وكل فيها خالدون) أى العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون (لهم فيها زفير) كما قال تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوج أنفاسهم (وهم فيها لا يسمعون)

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن بنى السعدوى عن أبىه قال : قال ابن مسعود إذا بقى من يخلد فى النار جعلوا فى توايت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب فى النار غيره ثم تلا عبد الله (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن السعدوى عن يونس بن حبان عن ابن مسعود فذكره ، وقوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة (أولئك عنها مبعدون) لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة فى الدنيا كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فكما أحسنوا العمل فى الدنيا أحسن الله ما بهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال (أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها) أى حريقها فى الأجساد ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبىه عن أبى عثمان الحريرى عن أبى عثمان (لا يسمعون حسيها) قال حيات على الصراط تلسعهم فإذا لسعتم

قال حس حس وقوله ( وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالدون ) فسلمهم من المحذور والمرهوب وحصل لهم المطلوب والمحجوب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال سمر مع علي ذات ليلة فقرأ ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزيير منهم وطائفة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجر ثوبه وهو يقول ( لا يسمعون حسيها ) وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المسكي عن محمد بن حاطب قال سمعت علياً يقول في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى ) قال عثمان وأصحابه، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن مالهك عن محمد بن حاطب عن علي فذكره ولفظه عثمان منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) فأولئك أولياء الله يمشون على الصراط ما هو أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثياً فهذا مطابق لما ذكرناه ، وقال آخرون بل انزلت استثناء من العبودين وخرج منهم عزيز والمسيح كما قال حجاج بن محمد الأعمش عن ابن جريج وعثمان عن عطاء عن ابن عباس ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) ثم استثنى فقال ( إن الدين سبقت لهم منه الحسنى ) فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى ) قال نزلت في عيسى بن مريم وعزير عليهما السلام ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد بن طريف عن الأصمغ عن علي في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى ) قال كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى بن مريم إسناده ضعيف وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد ( أولئك عنها مبعدون ) قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً غريباً جداً فقال حدثنا الفضل بن يعقوب المرخاني حدثنا سعيد بن مسلمة بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) قال عيسى وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة بن الزبيري ومناظرة المشركين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل حدثنا محمد بن حسن الأماطي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبيري إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) فقال ابن الزبيري قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا ؟ فنزلت ( ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ) ثم نزلت ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث المختارة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان يعني الثوري عن الأعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) قال المشركون فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فنزلت ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) الآلهة التي يعبدون ( وكل فيها خالدون ) وروى عن أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فنزلت ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بلغني يوماً مع الوليد بن الغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم ( إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ) — إلى قوله — هم

فيها لا يسمعون) ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبيرى السهمى حتى جلس معهم فقال الوليد ابن المغيرة لعبد الله بن الزبيرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفأ ولا تعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حسب جهنم . فقال عبد الله بن الزبيرى أما والله لو وجدته لحصمته فسألوا محمداً كل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود نعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبيرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله ( إن الدين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ) أى عيسى وعزير ومن عبدوا من الأجار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ونزل فيما يذكر أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون - إلى قوله - ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ) ونزل فيها ذكر من أمر عيسى وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجه وخصومته ( ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون \* وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك لإجدالاً بل هم قوم خصمون \* إن هو إلا عبد أئمننا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل \* ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون \* وإنه لعم للساعة فلا تمترن بها ) أى ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأقسام فكفى به دليلاً على علم الساعة يقول « فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ) وهذا الذى قاله ابن الزبيرى خطأ كبير لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة فى عبادتهم الأصنام التى هى حماد لا تعقل ليكون ذلك تقريباً وتوبيخاً لعابديها ولهذا قال ( إنكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم ) فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوها ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده وعول ابن جرير فى تفسيره فى الجواب على أن ما لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبيرى بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين ، وقد كان يهاجى المسلمين أولاً ثم قال معتذراً

يا رسول اللئيك إن لسانى \* راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذا جارى الشيطان فى سنن النفسى ومن مال ميله مشبور

وقوله ( لا يحزنهم الفزع الأكبر ) قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الأكبر النفخة فى الصور قاله العوفى عن ابن عباس وأبو سنان سعيد بن سنان الشيبانى واختاره ابن جرير فى تفسيره وقيل حين يؤمر بالعبء إلى النار قاله الحسن البصرى وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد بن جبير وابن جرير وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلى فيما رواه ابن أبى حاتم عنه ، وقوله ( وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ) يعنى تقول لهم الملائكة تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم ( هذا يومكم الذى كنتم توعدون ) أى فأملوا ما يسركم .

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُوعِدُهُ وَغَدَاً عَلِيمًا إِنَّا كُنَّا فَعْلِينَ ﴾

يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة ( يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ) كما قال تعالى ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) وقد قال البخارى حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه » افرده من هذا الوجه البخارى رحمه الله : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أى حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن سلمة عن أبى الواصل عن أبى اللبيح الأزدي عن أبى الجوزاء الأزدي عن ابن عباس قال : يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليفة والأرضين السبع بما فيها من

الخليقة يطوى ذلك كله يمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة ، وقوله ( كطى السجل للكتب ) قيل المراد بالسجل الكتاب ، وقيل المراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن يمان حدثنا أبو الوفاء الأشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب ) ، قال السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال أكتبها نورا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به ، قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن السجل ملك ، وقال السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعته إلى يوم القيامة ، وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب ) قال السجل هو الرجل ، قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو العوذى عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتبية بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر بن علي الجهضمي كما تقدم ورواه ابن عدي من رواية يحيى ابن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يسمى السجل وهو قوله ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب ) قال كما يطوى السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ . وقال الخطيب البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخي أن حمدان بن سعيد حدثهم عن عبد الله بن نعيم عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبي ﷺ وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزني فسح الله في عمره ونسأ في أجله ، وختم له بصالح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حديثه والله الحمد . وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للانكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم ، والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعمري عنه ونس على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله ( فلما أسما وتله للجهين ) أي على الجبين ، وله نظائر في اللغة والله أعلم . وقوله ( كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ) يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقا جديدا كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعده الله الذي لا يخلف ولا يبذل وهو القادر على ذلك ولهذا قال ( إنا كنا فاعلين ) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أبو جعفر وعبيدة العمي قالوا حدثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين » وذكر تمام الحديث أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخاري عند هذه الآية في كتابه ، وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله ﷺ نحو ذلك ، وقال العمري عن ابن عباس في قوله ( كما بدأنا أول خلق نعيده ) قال : يهلك كل شيء كما كان أول مرة

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ \* إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءًا لِقَوْمٍ

عَبْدِ بْنِ \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثه الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ( إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ) وقال ( إنا لننصر رسلا والدين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ) وقال ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولنمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ) وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ) قال الأعمش : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ) فقال الزبور: التوراة والإنجيل ، والقرآن ، وقال مجاهد: الزبور الكتاب ، وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور الذي أنزل على داود والله ذكر التوراة وعن ابن عباس الذكر القرآن ، وقال سعيد بن جبير الذكر الذي في السماء ، وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والله ذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول ، وقال الثوري هو اللوح المحفوظ ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء والله ذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون . وقال مجاهد عن ابن عباس ( إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والريعي بن أنس والثوري ، وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدي هم المؤمنون ، وقوله ( إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ) أي إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغا لمنفعه وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم وقوله ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم فقبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدتها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ) وقال تعالى في صفة القرآن ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ) . وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمير حدثنا مروان القزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن أبي حازم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال « إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة » انفرد بإخراجه مسلم وفي الحديث الآخر « إنما أنا رحمة مهداة » رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره عن وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال إبراهيم الحربي وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة . وكذا قال البخاري وقد سئل عن هذا الحديث فقال كان عند حفص بن غياث مراسلاً . قال الحافظ ابن عساکر وقد رواه مالك بن سعيد بن الحميس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ثم ساقه من طريق أبي بكر ابن المقرئ وأبي أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة عن إسماعیل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا رحمة مهداة » ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين » . قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا أحمد بن صالح قال وجدت كتاباً بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردي وإبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبیر بن مطعم عن أبيه قال : قال أبو جهل حين قدم مكة منصوره عن خمره يا معشر قريش إن محمداً

نزل يثرب وأرسل طلابه وإنما يريد أن يصيب منكم شيئاً فاحذروا أن تمرأوا طريقه أو تقاربوه فإنه كالأسد الضارى إنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه نفي القردان عن الناسم والله إن له لسحرة ما رأيته قطولاً أحداً من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم قد عرقتم عداوة ابني قيلة يعني الأوس والخزرج فهو عدو استعان بعدو فقال له مطعم بن عدى يا أبا الحكم والله ما رأيت أحداً أصدق لساناً ولا أصدق موعداً من أخيكم الذى طردتم وإذ فعلتم الذى فعلتم فكونوا أكف الناس عنه قال أبو سفيان بن الحارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وإن أطعتموني ألجأتهم حير كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطروداً ، وأما ابنا قيلة فوالله ما هما وأهل دهلك في الدلة إلا سواء وسأ كفيكم حدم وقال

سأمنح جانباً منى غليظاً \* على ما كان من قرب وبعد \* رجال الخزرجية أهل ذل \* إذا ما كان هزل بعد جد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « والذى نفسى بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون إني رحمة بعثني الله ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه، لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب » وقال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبى قررة الكندى قال كان حذيفة بالمداين فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « أيام رجل سبته فى غضبي أو لعنته لعنة فأبما أنا رجل من ولد آدم أعضب كما تعضبون وإنما بعثني الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة فان قيل فأى رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا إسحق الأزرق عن السعوى عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفى مما أصاب الأمم من الحسف والقذف وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث السعوى عن أبى سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره نحوه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم الطبرانى عن عبدان ابن أحمد عن عيسى بن يونس الرملى عن أيوب بن سويد عن السعوى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ( وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين ) قال من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الحسف والقذف

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهًا وَحِدًا قَهْلَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدَ مَا تُوعَدُونَ \* إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ \* وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ \* قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

يقول تعالى أمر رسول صلوات وسلامه عليه أن يقول للمشركين ( إنما يوحى إلى أمم إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ) أى متبعون على ذلك مستسلمون متقادون له ( فان تولوا ) أى تركوا مادعوتهم إليه ( فقل آذنتكم على سواء ) أى أعلمتكم أنى حرب لكم كما أنكم حرب لى برى منكم كما أنتم برآء منى كقولهم ( وإن كذبوك فقل لى على ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ) وقال ( وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ) أى ليكن علمك وعلمهم بنيد العهود على سواء وهكذا هنا ( فان تولوا فقل آذنتكم على سواء ) أى أعلمتكم ببراءتى منكم وبراءتكم منى لعلى بذلك . وقوله ( وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون ) أى هو واقع لا محالة ولكن لا علم لى بقره ولا ببعده ( إنه يعلم الجهر من القول

ويعلم ما تكتمون) أى إن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون ، يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما للعباد عاملون فى أجهارهم وأسرارهم . وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل . وقوله ( وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ) أى وما أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكاه عون عن ابن عباس فالله أعلم ( قال رب احكم بالحق ) أى افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق . قال قتادة كانت الأنبياء عليهم السلام يقولون ( ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ) وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد غزاة قال ( رب احكم بالحق ) وقوله ( وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ) أى على ما يقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون فى مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم فى ذلك . آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام والله الحمد والمنة .

### ( تفسير سورة الحج )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَهُمْ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ )

يقول تعالى أمرا عباده بتقواه ومخبراً لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها ، وقد اختلف المفسرون فى زلزلة الساعة ، هل هى بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدانهم كما قال تعالى ( إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ) وقال تعالى ( وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ) الآية ، وقال تعالى ( إذا رجعت الأرض رجاً ، وبست الجبال بساً ) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة فى قوله ( إن زلزلة الساعة شىء عظيم ) قال قبل الساعة ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث الثورى عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فذكره ، قال وروى عن الشعبي وإبراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ) قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة ، وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك فى حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لمافرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاها إسرافيل فهو واضع على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور ؟ قال قرن قال فكيف هو ؟ قال « قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهى التى يقول الله تعالى ( وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ) فتسير الجبال فتكون تراباً وترج الأرض بأهلها رجاً وهى التى يقول الله تعالى ( يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ) فتكون الأرض كالسفينة الموقفة فى البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالتعديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً وهى التى يقول الله تعالى ( يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من